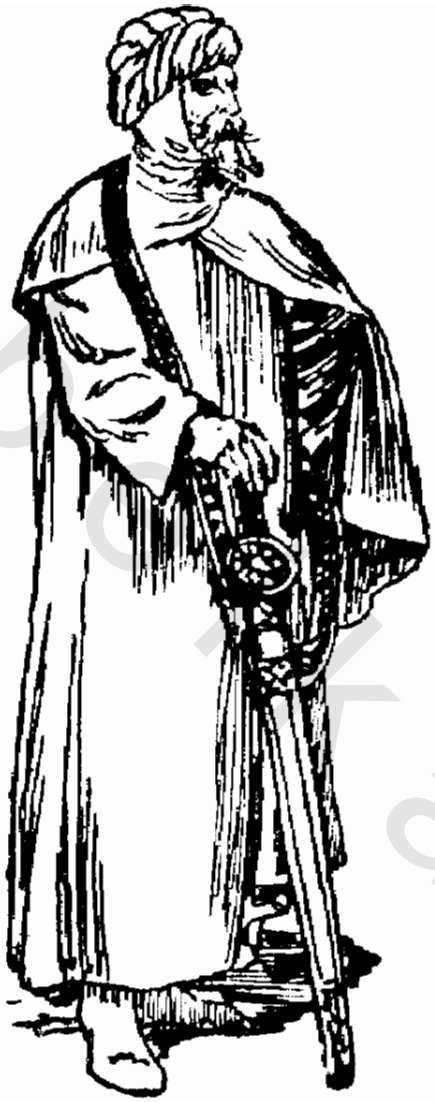

مصر الاسلامية

أدمجت مصر بعد الفتح الاسلامى فى الامبراطورية الاسلامية العربية وظلت جزءا منها إلى أن ضعفت الخلافة العباسية وترك الخلفاء حكم البلاد ومعالجة سياستها للوزراء والقواد الأجانب فاستأثروا بالسلطة وعمت الفوضى أجزاء الدولة — ولمع فى الأفق أسماء لقواد استقلوا بحكم بعض الولايات وبدأت الحركات الانفصالية فى بعضها ومن هؤلاء أحمد بن طولون

قدم أحمد بن طولون الفسطاط عاصمة الدولة المصرية وعمره لا يتجاوز الثلاثة والثلاثين ربيعاً لتسلم زمام القوة العسكرية وسرعان ماظهر نبوغه فى الشئون الادارية والحربية وتجلى نشاطه وعم عدله . أتى إلى مصر مديناً لأحد أصدقائه ومات تاركا عشرة ملايين من الدنانير فى الخزينة وعبيداً وخيلا وجيشا وأسطولا. وكان أحمد بن طولون طموحا إلى المجد فعمل على استخلاص ملك مصر لنفسه من أول يوم وطأت فيه قدماه أرض مصر والمرة الأولى فى تاريخ مصر منذ الفتح العربى أصبحت مصر فى أيامه دولة قوية مستقلة . فتغلب على مثيرى الفتن فى البلاد وأخضع ثلاث ثورات شبت فى أنحاء مصر ثم سار الى الشام واحتل كل أجزائها ووصل بجيوشه إلى طرسوس والفرات وحارب جنود الخليفة والروم ووحد تحت سلطته إمبراطورية مترامية الاطراف تمتد من برقة إلى حدود الامبراطورية الرومانية فى آسيا الصغرى . ومن نهر الفرات إلى شلالات النيل الأولى ،واهتم ابن طولون بتحصين الفسطاط فأمر ببناء حصن على الجزيرة التى بين الفسطاط والجزيرة (جزيرة الروضة) ليكون معقلا لأهل أسرته وذخائره

ووزع أعمال البناء بين قواده وكان يتعهدهم بنفسه كل يوم حتى انتهى العمل منه. كما أنه شيّد دارا لصناعة الأسلحة والسفن. ولم يدم الحال طويلا لأسرة الطولونيين فقد عادت مصر ثانيـة إلى سلطان الخليفة العباسى وأصبحت إحدى ولاياته التى يشرف عليهـا أحد أمرائه . ومع ذلك فلم تنج مصر من هجمات الفاطميين بعـد تأسيس دولتهم الجديدة فى المغرب . فأرسلوا جيشاً اخترق البلاد المصرية وعسكرت جنودهم أمام شاطىء النيـل فى الجيزة حيث حفر جيش الخليفة خنـادقه بقيادة « ذكا الروى » ولـكن انتصر المصريون عليهم وطردوا الفواطم عام ٩٢٠ م .

وتولى الحـكم أبو بكر محمد بن طغج الملقب بالأخشيدى ولئن كان لم يترك أثراً عظيما فى مصر إلا أنه أعاد الأمن إلى نصابه فى مصر وصد المغيرين من أهل شمال أفريقية وقد بلغت جيوشه فى مصر والشام ٤٠٠٫٠٠٠ تشتمل على عدة طوائف وأجناس مختلفة . وفى أيام الاخشيديين غزا الفواطم مصر

مصر الفاطمية

لما نجح الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فى تأسيس دولته بالمغرب عزم على فتح مصر فوضع خطته العسكرية وأعد حملته العظيمة وسير عليهـا قائده جوهر على رأس مائة ألف من جنوده مستهلا السير من مدينة قيروان فى ١٤ ربيع الأول عام ٣٥٨ هـ ـ ٥ فبراير ٩٦٩ م فسار جوهر حتى وصل بجيوشه إلى طروجة (١) بالقرب من الاسكندرية وأرسل إلى أهـل مصر فأجابوه بطلب الأمان فأجابهم جوهر إلى ذلك وكتب لهم العهد . فلما علم الأخشيديون بذلك توجهوا لقتاله عند الجيزة فوصل جوهر اليها ووقع القتال بين الفريقين حتى سقطت فى (١٧ شعبان عام ٣٥٨ هـ ـ ٦ يوليو ٩٦٩ م) ثم سار جوهر إلى منية الصيادين (ميت النصارى) عبر مخاضة منية شلقان (شلقان) الواقعة شرق القناطر الخيرية وكان قد وصل اليه المدد بقيادة الأمير جعفر بن فلاح والتقوا مع المصريين فدارت عليهم الدائرة وطلبوا الهدنة فسكن النـاس وفتحت الأسواق ودخل جوهر فى اليوم التالى الى مصر فى طبوله وجنوده ونزل بالمناخ وهو موضع القاهرة اليوم واختطا المدينة وحفر

(١) قرية كانت موجودة بمركز « أبو المطامير » بمديرية البحيرة

أساس القصر فى نفس الليلة وكتب إلى مولاه المعز يبشره بالفتح ويهنئه وفى ذلك قال ابن هانىء :

يقول بنو العباس هل فتحت مصر * فقل لبنى العباس قد قضى الأمر
ومذ جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

واستمر جوهر حاكما على مصر إلى أن قدم اليها مولاه المعز لدين الله فصرف جوهر عن البلاد وصار من عظماء القواد فى الدولة إلى أن مات

الجيش فى عهد الفاطميين

وكان الجيش فى ذلك العهد ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية : —

١ الأمراء وينقسمون إلى أمراء السلسلة الذهبية وهم أصحاب أرقى الرتب وحملة السيوف وهم حرس الخليفة الراكبين والضباط.

٢ — ضباط الحرس ويتألفون من الأسياد أو الأغوات وهم الذين كانوا يمنحون مناصب الدولة الهامة . والحرس الصغير وكان يتكون من ٥٠٠ شاب تقريبا ثم جنود الخليفة وعددهم نحو ١٥٠٠٠

٣ — اللواءات ويحمل كل منها اسما لأحد الخلفاء أو الوزراء أو يطلق عليها اسم القبيلة التى تنتمى إليها كالمحافظية والجيوشية والروم والصقالبة والسودانية وكان عدد هذه اللواءات كثيرا جداً يختلف من وقت لآخر وكان مرتب الجندى يتراوح بين دينارين وعشرين ديناراً فى الشهر

وكانت هيئة الوزراء تنقسم الى قسمين . رجال السيف ورجال القلم . فرجال السيف هم قواد الجيش ورجال ديوان الجنود وكان هؤلاء يشغلون أهم مناصب الدولة.

وتألف ديوان الجيش من الأقسام الآتية : —

الأول — ديوان الجيش ولايكون كبيره الا مسلما . وهو الذى يعرض الجند وخيولهم . ولم تكن فى سلطته تغيير أحدهم ولاشىء من مخصصاتهم إلا بأمر من السلطان . وكان يشرف على نقباء الأمراء الذين يعرفونه أحوال الجنود

الثانى — ديوان الرتب وكان يشتمل على اسم كل مرتزق فى الدولة

الثالث — ديوان الأقطاع . وكان مختصا بما هو مقطع للجنود . (نصيبهم من الأرض)

وكان بمصر فى عهد الفواطم دار يقال لها « خزانة البنود » تودع فيها الأعلام والدرق وكان ينفق عليها حوالى ٨٠٫٠٠٠ دينار سنويا . وقد بقى فيها كل ماصنع من الأعلام والأسلحة والسروج واللجم — وفيها المذهب والمفضض وقد احترقت الدار بما فيها ولم ينج منها شىء وكان من جملة ماالحترق « لواء الحمد » وقد بلغت قيمة الخسائر حوالى ثمانية ملايين دينار

وفى خاتمة أيام الفاطميين كانت القاهرة قد بلغت شأنا كبيراً من الرقى والتقدم تكتنفها الطرقات والأسواق وتتوسطها البساتين الغناء وتشتمل على الحمامات والوكالات والمدارس . وتاريخ هذه العمائر ووصفها قد أفاضت فيه صفحات الخطط المقريزية فى فصول بليغة تضىء بعظمة القاهرة من أعوامها الأولى إلى القرون الوسطى وقد وصفها أيضاً الرحالة العرب والأوربيون

ونذكر من أهم منشآتهم فى القاهرة — الجامع الأزهر . والجامع الحاكمى والأقمر وجامع الصالح طلائع . وقد اندثرت معظم القصور ودور العلم التى كانت تزين القاهرة . ومازالت مخلفاتهم الخالدة فى المتاحف يشهد بها علماء الآثار والفنون

وقد امتد سلطان الفواطم من نهر العاصى بالشام إلى حدود مراكش غرباً وشمال السودان وطغى نفوذهم الروحى نحو بلادفارس . وأخيراً قضى على سيادتهم البطل صلاح الدين الأيوبى